الذين أنكروا صفة العلم لله تعالى

الذين خالفوا فيها المعتزلة حيث أنكروا صفة العلم، وأنكروا دلالة الاسم على العلم، هم إذا أثبتوا يقولون: إن الله عليم بلا علم. -نعوذ بالله من الخذلان. قد يقولون: إذا أثبتنا العلم؛ أن الله يعلم؛ فقد شبهنا لأن الإنسان يعلم الأشياء وفي الخلق علماء. فإذا كان الله موصوفا بالعلم، والإنسان موصوف بالعلم كان ذلك تشبيها، فإن البشر فيهم من يعلم كما قال تعالى: { وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ } ؛ أي أن الخلق فيهم علماء وإن كانت علومهم متفاوتة، وكذلك قال تعالى: { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } فأثبت أن في العباد علماء، وإذا كان فيهم علماء؛ فإذا أثبتنا صفة العلم كنا قد شبهنا. هكذا خُيل إليهم أن إثبات هذه الصفة يعتبر تشبيها؛ فنفوا هذه الصفة، ولا شك أن نفيها يستلزم إثبات ضدها، فضد العلم الجهل، ولا شك أن هذا تنقص لله تعالى. ذكر ابن عبد العزيز الكناني صاحب .. أنه لما ناظر بشرا المريسي قال له: أتقول إن الله يعلم؟ فقال: لا أقول ذلك ولكن أقول: لا يجهل، قال: أخبرني هل تعترف بأن الله يعلم؟ فلم يعترف بإثبات صفة العلم، وذلك لأن المعتزلة ونحوهم يعتمدون على السلب، إنما يثبتون الصفات السلبية فيقول: لا يجهل، فقال له الكناني أنا أيضا أقول: إن هذه الأسطوانة لا تجهل؛ فأخبرني هل الله تعالى يعلم؟ فأصر على نفي العلم، واستمر على قول: لا يجهل. فهذا هو معتقدهم، هو اعتمادهم على الصفات السلبية -صفات النفي- وهم يفصلون في صفات النفي ويختصرون في صفات الإثبات. كذلك لا شك أن من أشد من أنكر صفة العلم غلاة القدرية المتقدمون في حديث ابن عمر الذي في أول صحيح مسلم ؛ أنهم سألوه عن أناس يقولون: لا قدر وأن الأمر أنف؛ ومعنى ذلك يقولون: إن الله لا يعلم الأشياء حتى تحصل؛ فلا يعلم الأمور الغيبية المستقبلة وإنما إذا حصلت علمها كالإنسان، صحيح أن الإنسان لا يعلم ماذا يكسب غدا، هل يربح أم يخسر؟ وهل يحزن أم يفرح؟ فكذلك يقيسون الله على ذلك؛ فينكرون علم الله السابق، فيقولون: إنما يعلم الموجودات بعد تجددها؛ فلا يعلم من سيولد لهذا الإنسان عندهم، ولا يعلم عدد أولاده، ولا يعلم متى تعمر هذه الأرض في نظرهم، ولا يعلم عمر هذه الشجرات، ولا عمر هذا الإنسان، هذا اعتقادهم، هؤلاء غلاة القدرية المتقدمون مثل معبد الجهني وغيلان القدري وكذلك غلاة المعتزلة كواصل بن عطاء وعمرو بن عبيد ونحوهم من الذين يتسمون بأنهم علماء وهم في الحقيقة جهلاء؛ فهؤلاء أنكروا علم الله السابق، وفيهم يقول الشافعي رحمه الله: ناظروهم بالعلم فإن أقروا به خصموا، وإن جحدوه كفروا؛ أي: سلوهم ألا تقرون بأن الله بكل شيء عليم؟ ألا تقرون أن الله يعلم ما بين أيدينا وما خلفنا؟ ألا تقرون بأنه يعلم أعمال العباد وبأنه عالم الغيب والشهادة؟ ونحو ذلك؛ فإذا اعترفوا بذلك قلنا لهم: ما الفرق بين علم الماضي وعلم الآتي؟ ما الفرق بين علم السابق وعلم اللاحق؟ إذا علم الله تعالى الأمور الماضية فإنه لا يعزب عنه علم الأمور المستقبلة، وذلك لأنها لا تحدث إلا بإرادته، ولا توجد إلا بعد مشيئته، فهو الذي يقدرها، وهو الذي يخلقها، وهو الذي يوجدها، فكيف لا يعلمها؟ كيف لا يعلم عدد ما سوف يحصل، وعدد من سيخلق، لأنه هو الذي قدر ذلك، وهو الذي خلقه، هكذا قد نقل عن الشافعي ناظروهم بالعلم فإن أقروا به خصموا، وإن جحدوه كفروا. ولا شك أن هذه الصفة -صفة العلم- أنها صفة كمال، وأن نفيها صفة نقص في المخلوق، وأن الله –تعالى -فضل من يعلم على من لا يعلم في قوله: { قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ } وحتى في الحيوانات البهيمية في قوله تعالى: { وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ } فأثبت بأن ما عندنا من العلم فهو مما علمنا الله، وكيف يعلمنا شيئا لا يعلمه؟ وكيف يكون الإنسان الذي يعلم أفضل من الخالق الذي خلق كل شيء؟ فكيف يخلق العلم وهو لا يعلمه؟ فهذه لا شك أنها من صفات الكمال التي أثبتها الله تعالى لنفسه؛ صفة العلم.